



أحمد شوقي

أمير الشعراء

بقلم : محمود عوض

برئاسة : مصطفى حسين

الطبعة الثالثة



بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

عوض ، محمود

أحمد شوقي: أمير الشعراء / بقلم محمود عوض

يريشة مصطفى حسين - ط ٣ - القاهرة : دار المعارف ، ٢٠٠٦ .

٢٠ ص ٢٨,٥ سم - (نوايغ العرب : ٢)

تدمك : ٤ - ٧٠١٦ - ٠٢ - ٩٧٧

١ - الشعراء العرب - مصر .

٢ - أحمد شوقي، أحمد شوقي بن علي، ١٨٦٨ - ١٩٣٢

(١) حسين ، مصطفى (رسام) .

(ب) العنوان

ديوى ٩٢٨,١٦٢

٧/٢٠٠٦/٦٢

رقم الإيداع ٢٠٠٦/٢٢٥٧٠

تنفيذ المتن والغلاف

بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات

دار المعارف

أحمد شوقي

دخلت المرأة غرفة الخديو إسماعيل في قصره حاملة بين يديها حفيدها الصغير ذا السنوات الثلاث وهي تبكي . وكانت هذه المرأة إحدى جواري الخديو اليونانيات .

سألها الخديو إسماعيل : ما الخبر ؟

— هذا الطفل يا مولاي . .

— أحمد ؟ ماله ؟

— إنه يا مولاي يرفع عينيه إلى أعلى دائماً ، ولا يستطيع أن ينظر إلى أسفل أبداً !
وفكر الخديو قليلاً ، ثم مد يده إلى جيبه وأخرج بضعة جنيهاً ذهبية . . ثم نثرها على البساط .
وعلى الفور تحولت عين الطفل ، لأول مرة منذ ولادته ، إلى بريق الذهب وهو يتساقط على الأرض .
وعندما ابتسمت المرأة من النتيجة ، قال لها الخديو : كلما نظر الطفل إلى السماء فانشأ له ذهباً .. حتى يتعود النظر إلى الأرض !
وابتسمت الجدة قائلة في نوبة نفاق للخديو الذي يعبد الذهب : هذا دواء لا يخرج إلا من صيدليتك يا مولاي !

كان هذا الطفل هو الذي أصبح فيما بعد « أمير الشعراء » : أحمد شوقي !
ولد في سنة ١٨٦٨ في أسرة امتزجت فيها الدماء العربية والتركية والكردية واليونانية .
كان جده وكيلًا لخاصة الخديو إسماعيل ، وأبوه مفتشاً في الخاصة الخديوية ، وهكذا ولد الطفل أحمد شوقي وسط أسرة قريية من قصر الخديو وخاصته .

دق جرس المدرسة ، وبدأت الحصة الأولى . كان الدرس عن الجغرافيا ، وعندما انتهى المدرس من شرحه .. أشار إلى الطالب أحمد شوقي وسأله : هل تستطيع أن تحدثني عن قارة أفريقيا .. في كلمات موجزة ؟

وعلى الفور رد الطالب الشاب ببیت من الشعر نظمته في لحظة . قال الطالب :

أفريقيا جزء من الوجود في شكل أشبه بالعنقود !

وفوجئ المدرس بهذه الروح الشعرية المبكرة لدى تلميذه الشاب الذي لا يزيد عمره على أربع عشرة سنة ، في حين لم يندهش زملاؤه في الفصل .. لأنهم كانوا يعرفون أن « أحمد » يهوى الشعر منذ صباه قراءة وتأليفاً .

لقد أدخلته أسرته « كتاب » الشيخ صالح ، ثم انتقل إلى مدرسة المبتديان ، فالتجيزية . وفي هذه المدرسة الأخيرة أظهر تفوقاً ونبوغاً .. ولهذا تقرر منحه المجانية في التعليم مكافأة له على تفوقه . وعندما تخرج أحمد في المدرسة ، كان قد أصبح في الخامسة عشرة ، وكانت موهبته الشعرية قد تيقظت ، حتى إنه بدأ يصوغ معلوماته الجغرافية التي يتلقاها في المدرسة أبياتاً من الشعر .

وما إن أتم أحمد تعليمه الثانوي حتى ألحقه أبوه بمدرسة الحقوق ، فدخلها سنة ١٨٨٥ . وفي المدرسة وصفه أحد زملائه قائلاً إن أحمد كان « فتى نحيفاً ، هزيلًا ضئيلاً ، قصير القامة ، وسيم الطلعة تقريباً ؛ ذا عينين متألقتين تحقيقاً ، ولكنهما متنقلتان كثيراً . فإذا نظر إلى الأرض دقيقة واحدة فللسماء منه دقائق متبادية . وإذا تلفت صوب البين فما ذاك إلا لكي يرعى ببصره نحو الشمال ، وهو مع هذه الحركات المتتابعة المتنافرة هادئ ساكن وارع ، كأنما يتحدث بنفسه إلى نفسه ، أو يناغي عالماً من الأرواح . ما كان يلبسنا فيما نأخذ فيه من اللهو والمزاح ، ولا ينهات معنا على تلفف الكرة بعد الفراغ من تناول الغداء ، أو حينما نتنفس الصعداء لانتهاء مواقيت الدراسة » .

ولكن انشغال « أحمد » عن اللهو وعن زملائه لم يكن بلا جدوى ، فقد كان حبه للشعر يتغلب عليه .. فيجعله يفكر ويظيل التفكير ، ثم يحاول ويكرر المحاولة ، لكي يجرب بينه وبين نفسه موهبته في نظم الشعر .

في مدرسة الحقوق بدأ يظهر نبوغ أحمد شوقي في الشعر ، إلى درجة أن أستاذه في اللغة العربية — وكان اسمه الشيخ محمد البسيوني — كان يعرض على أحمد القصائد التي ينظمها هو ، لكي يستمع إلى رأى أحمد فيها .

واختتم أحمد شوقي حياته التعليمية بعد أن انتسب أحمد أيضاً إلى قسم الترجمة في مدرسة الحقوق ، وظل فيه مدة سنتين حصل بعدهما على الشهادة النهائية في سنة ١٨٨٧ . وبالإضافة إلى ذلك أصبح يجيد أيضاً ثلاث لغات هي العربية والفرنسية والتركية ، مما ساعده فيما بعد على الاطلاع على ثقافات مختلفة متنوعة . وقد أدى نبوغ أحمد في الشعر إلى إعجاب الخديو توفيق — الذي أصبح خديو مصر بعد إسماعيل — فقرر إرساله في بعثة إلى فرنسا ليكمل ثقافته .



سافر أحمد شوقي إلى فرنسا على نفقة الخديو ، حيث قضى عامين في « مونبلييه » ، وعامين في باريس . وخلال ذلك سافر إلى لندن ، وقضى بها شهراً ، وسافر إلى الجزائر ، وقضى بها أربعين يوماً ، وقضى الأشهر الستة الأخيرة من بعثته في باريس متنقلاً بين المسارح المشهورة في « مدينة النور والجمال » . وعندما عاد شوقي إلى مصر سنة ١٨٩٢ كان توفيق قد توفى ، وأصبح عباس الثاني خديو مصر ، فقرر تعيينه في قلم الترجمة . وخلال مدة قصيرة أصبح شوقي مقرباً إلى الخديو وشاعره المادح له ، الغاضب من أعدائه .

ومن وقت إلى آخر كان شوقي ينظم قصائد يعبر فيها عن آمال الشعب وآلامه ، ومن ذلك قصيدته « ذكرى دنشواى » التى يقول فيها :

يا دنشواى على رباك سلام ذهبت بأنس ربوعك الأيام

وقصيدته الأخرى ، التى نظمها حين ضرب الفرنسيون دمشق بالقنابل وقال فيها :

وللأوطان فى دم كل حر يدٌ سلفت ودين مستحق
وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرحة يدق

وكذلك قصيدته الرائعة التى رثى بها الزعيم سعد زغلول ومطلعها :

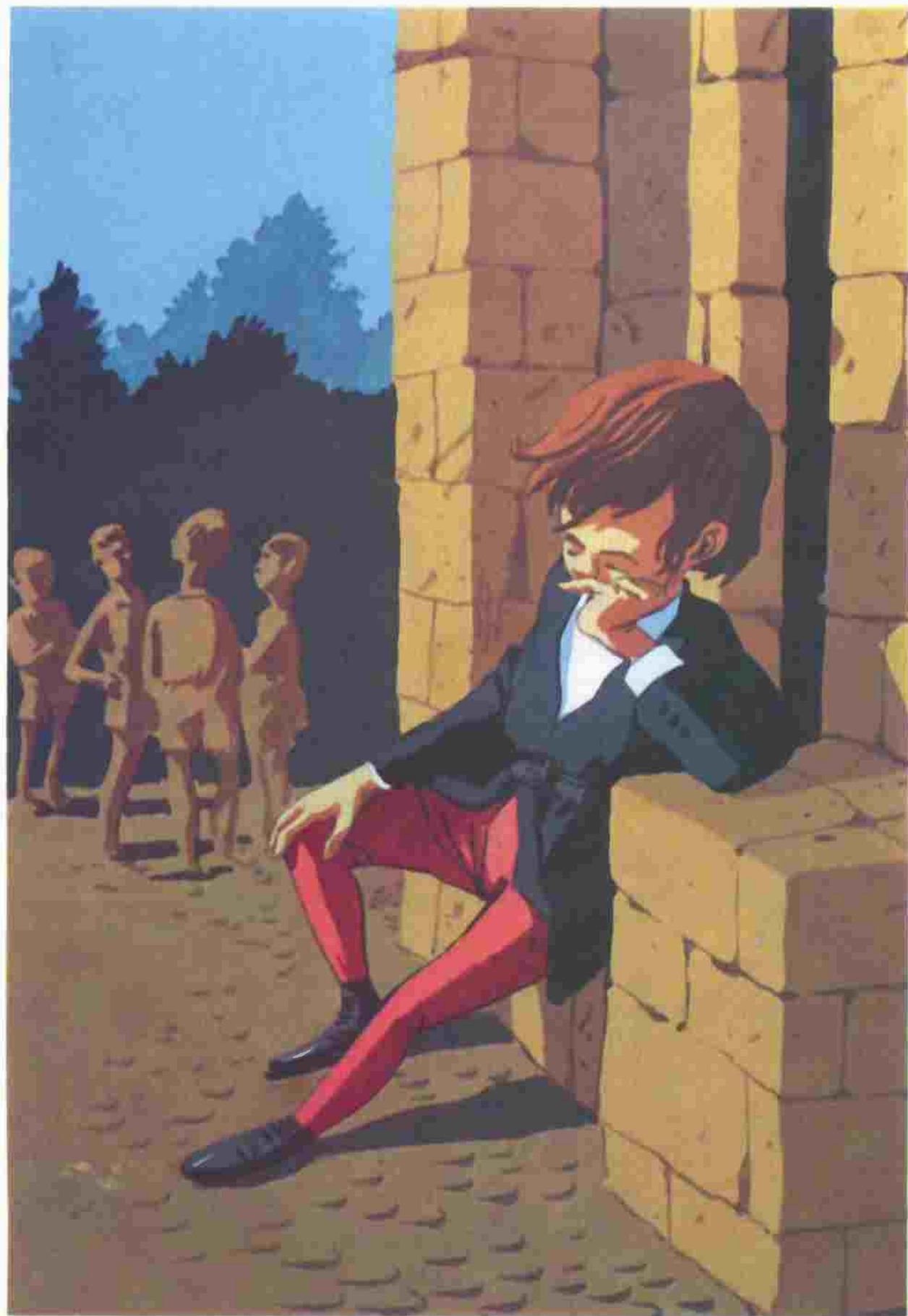
شيعوا الشمس ومالوا بضحاها وانحنى الشرق عليها فبكاها

وقد تنوعت الأغراض التى نظم فيها شوقي شعره ، وكان على رأسها العواطف الدينية التى عبر عنها فى قصائد كثيرة من أشهرها قصيدته « الحمزية » التى يقول فيها مادحاً الرسول صلى الله عليه وسلم :

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء

ومن أشهر قصائده فى تلك الفترة كذلك قصيدته نهج البردة التى نظمها فى سنة ١٩٠٩ وقال فيها :

ريم على القاع بين البان والعالم أحل سفك دمي فى الأشهر الحرم



أفاق أحمد شوقي ذات يوم .. ليفاجأ بقرار يقضى بنفيه إلى خارج مصر !
 كانت الحرب العالمية الأولى قد أعلنت ، وكان الخديو عباس متغيباً عن مصر في زيارة لتركيا ،
 وأعلنت بريطانيا حمايتها على مصر .
 وفي الوقت نفسه لم يكن الإنجليز - وهم يحتلون مصر - يطمنون إلى ولاء الخديو عباس الثاني لهم
 فنعوه من العودة إلى مصر ، وأقاموا مكانه السلطان حسين كامل .
 ولأن أحمد شوقي كان يحتفظ بوفائه لعباس ، ومن قبله لتوفيق وإسماعيل ، فقد انعكست مشاعره
 على قصيدة قال فيها :

الملك فيكم آل إسماعيل لازال عرشكمو يظل النيل
 أخون إسماعيل في أبنائه ولقد ولدت بباب إسماعيل

ونخشى الإنجليز من تأثير أحمد شوقي على الشعب ، فأمرُوا بنفيه من البلاد .
 وحينما تحركت السفينة من بورسعيد حاملة أحمد شوقي وأسرته ، اختار هو أن يهبط في أسبانيا حيث
 أقام في أحد فنادق مدينة « برشلونة »

كان الفندق يقع في ضاحية جميلة ترتفع عن سطح البحر ، وتحيط بها غابات الصنوبر من ناحية
 ويمتد حولها البحر من ناحية أخرى تمخره السفن الذاهبة والراجعة .
 ولكن روعة المناظر الطبيعية حول أحمد شوقي لم تخفف من حزنه على حاله ، أو من انشغاله على
 بلاده ، أو من شوقه إلى العودة إليها وحنينه لأيامه فيها . لهذا نظم شوقي قصائد جمّة في هذه المعاني
 كان من بينها قصيدته التي مطلعها :

اختلاف النهار والليل ينسى اذكرا لي الصبا وأيام أنسى

ومنها :

وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي

أمضى شوقي خمس سنوات في منفاه ، كان خلالها يقرأ كثيراً عن تاريخ العرب في الأندلس ،
 ويرى حوله آثار العرب في قرطبة وأشبيلية وغرناطة ، ويترجم كل هذا إلى شعر يتغنى فيه بحضارة العرب
 في الأندلس ، ويتحسر على نهضتهم التي زالت ، ودولتهم التي سقطت هناك ..



عاد أحمد شوقي إلى مصر عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى ، بعد أن عفت السلطات عنه . عاد ليجد الشعب كله ناهضاً في ثورة سنة ١٩١٩ المشهورة . ومن الآن فصاعداً لم يعد شوقي شاعر القصر وإنما أصبح يولي اهتمامه لقضايا الشعب وآماله وأحلامه .. وأصبح يقضي معظم وقته في نظم الشعر والتجول والسفر .

كان أحمد شوقي يحب السفر ، وكان يسافر سنوياً إلى بلاد كثيرة خصوصاً سوريا ولبنان وفرنسا . وفي إحدى زياراته تلك نظم قصيدته المشهورة عن مدينة « زحلة » اللبنانية ، التي قال فيها :

يا جارة الوادي طربت وعادني ما يشبه الأحلام من ذكراك
مثلت في الذكرى هواك وفي الكرى والذكريات صدى السنين الحاكي
ولقد مررت على الرياض بربوة غناء كنت حياها ألقاك
لم أدر ما طيب العناق على الهوى حتى ترفق ساعدي فطواك

وفي إحدى زيارات أحمد شوقي للبنان ، كان يصحب معه في الزيارة صديقه المطرب محمد عبد الوهاب ، وصديقه سليمان فوزي صاحب مجلة اسمها « الكشكول » .

وبينما كان الجميع يسهرون عند أصدقاء لبنانيين قبل لهم إن مغنية جميلة الصوت ستغني في إحدى الحفلات ، ولابد أن يستمعوا إليها .

وذهب شوقي مع صديقيه إلى تلك المغنية ، فقدموها لهم مع زوجها .. وكان رجلاً ثرثاراً .. فراح يروي للمجتمعين قصة زواجه من المغنية ، وكيف خطفها من بيت أهلها حباً فيها وفي فنا ، ثم تزوجها برغم أنف الأهل . وظل الرجل يروي قصته مع زوجته ، حتى قامت الزوجة المغنية وبدأت تغني قصيدة (مضناك جفاك مرقده) ، وهي قصيدة مشهورة من شعر أحمد شوقي .

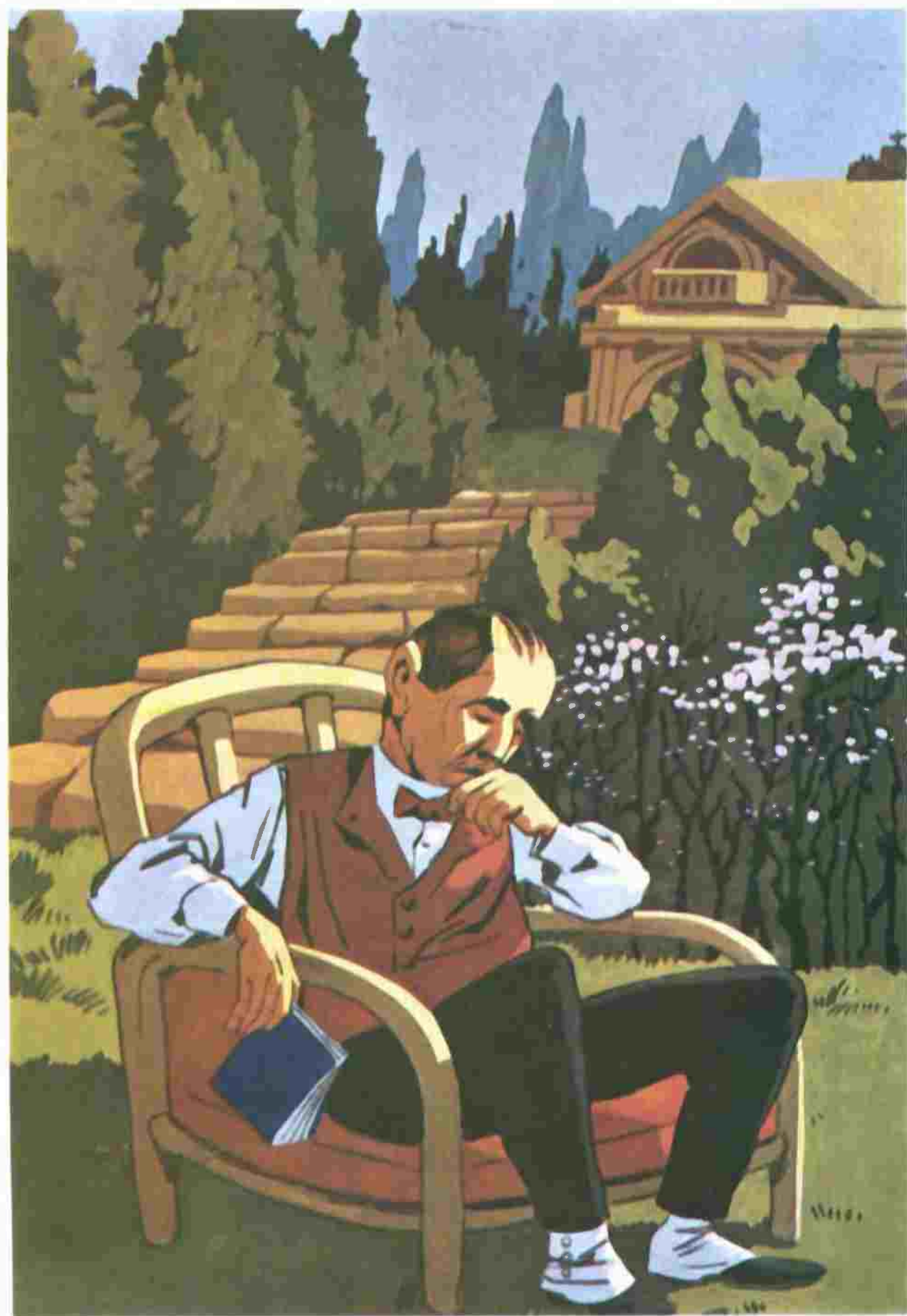
وبعد قليل أراد سليمان فوزي أن يبعث السرور إلى نفس شوقي ، فسأل زوج المغنية عن مؤلف القصيدة ، فأجاب الزوج على الفور :

— الشعر إلى خيؤ . . !!

أي أن الشعر لى يا أخى . وهنا قهقهه أحمد شوقي وعلق قائلاً : « معلوم .. إذا كنت خطفت مراتك ..

مش راح تحطف قصيدة ؟ !

لم يكن أحمد شوقي يختار وقتاً محدداً لنظم الشعر . فقد كانت الخواطر والأفكار تهبط عليه في أي مكان ، وفي أي وقت من اليوم .



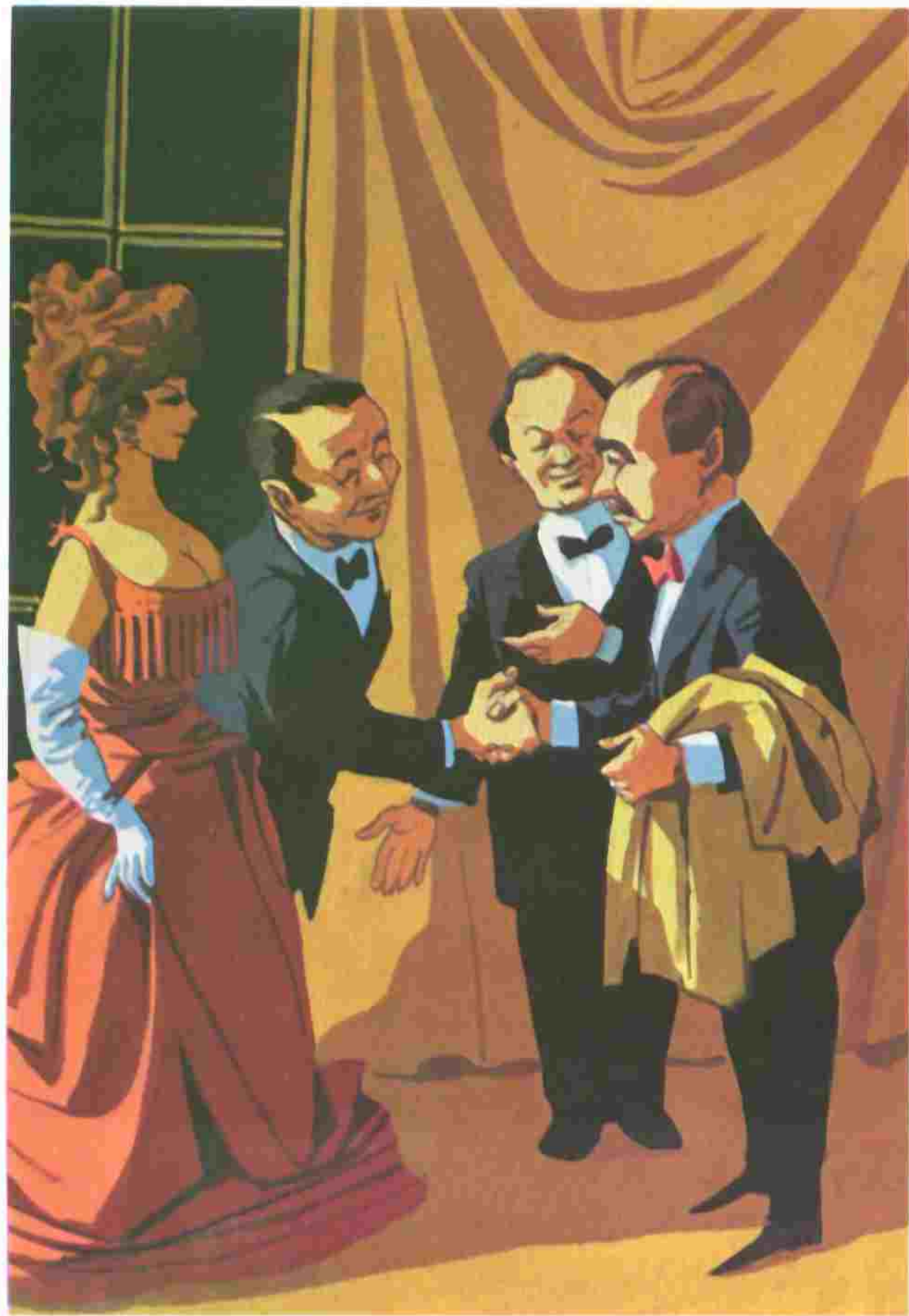
ولقد كتب عنه أحد أصدقائه قائلاً : « مرة منذ عشرة أعوام (سنة ١٩٢٢) جاء (أحمد شوقي) من منزله في المطرية فوجدني بالمكتب في الساعة الحادية عشرة ونصف ، فأملئ على ثمانية وعشرين بيتاً من قصيدته التي مطلعها (قفى يا أخت يوشع خبرينا) ثم قال لى : لا تبتعد عني ، حتى إذا جاءني شيء أملتبه عليك . وخرج يمشي حول العمارة ، فكان كل بضعة دقائق يعود فيملئ على خمسة أو ستة أو سبعة أبيات . وأخيراً دخل المكتب ، وجلس على مقعد ، وأخذ يمر براحته اليسرى على رأسه ، ففهمت أنه ينظم في سره ، لأنه كثيراً ما كان يفعل ذلك في أثناء النظم ، ثم قال : اكتب ، فكتبت ، وكتبت ونظرنا في الساعة ، فإذا هي الواحدة بعد الظهر ، فقال : كفى ، أعطني ما كتبت لأتني على موعد في هذه الساعة .. فقدمتها له ، بعد أن عدت أبياتها ، فوجدتها أربعة وثمانين بيتاً » .

وحكى صديق آخر قال : إنه لازم أحمد شوقي مرة في أحد المطاعم على جسر (كوبري) قصر النيل بالقاهرة ، وفجأة شرع شوقي في نظم قصيدة « النيل » الرائعة ، التي غناها أم كلثوم بعد ذلك بسنوات ، وفيها يقول شوقي أبياته المشهورة :

من أى عهد في القرى تندفق وبأى كف في المدائن تغدق
ومن السماء نزلت أم فجرت من عليا الجنان جداولاً تفرق

وكان شوقي « .. كل نصف ساعة يركب مركبة خيل ، ويسير في الجزيرة بضعة دقائق ، ثم يعود إلى المنضدة التي كان يجلس عليها ، فيكتب عشرة أبيات أو اثني عشر بيتاً . وهكذا حتى انتهت القصيدة في ليلة .. إلا بيتاً استعصى عليه ، ولم يتمكن منه إلا بعد يومين .. » .

ولقد كان من عادات شوقي أن يتجول في الأحياء الشعبية ، لكي يلاحظ ويراقب ويتأمل حياة الناس البسطاء العاديين . وحينما يتعب من السير كان يركب الترام ، جالساً في المقعد الخلفي من العربات المقطورة لأنه من هذا المقعد يستطيع أيضاً أن يلاحظ ويتأمل غيره من الركاب في صمت ، على حين يجد المعاني والصور الشعرية في عقله وتردد على لسانه وتراكم في ذاكرته .



كان الوقت خريفاً .. ومدينة باريس تصبح في أجمل صورها في هذا الوقت من كل سنة .

وفجأة .. وبينما كان أحمد شوقي يسير في الشارع مع صديقه الموسيقار الشاب محمد عبد الوهاب ،

قال شوقي :

— أريد أن أنصف تلك المرأة . إنها امرأة مظلومة . ظلمها الناس والتاريخ .. وظلمتها سمعتها .

وسأله محمد عبد الوهاب : أى امرأة يا باشا ؟

— كليوباترا يا محمد ..

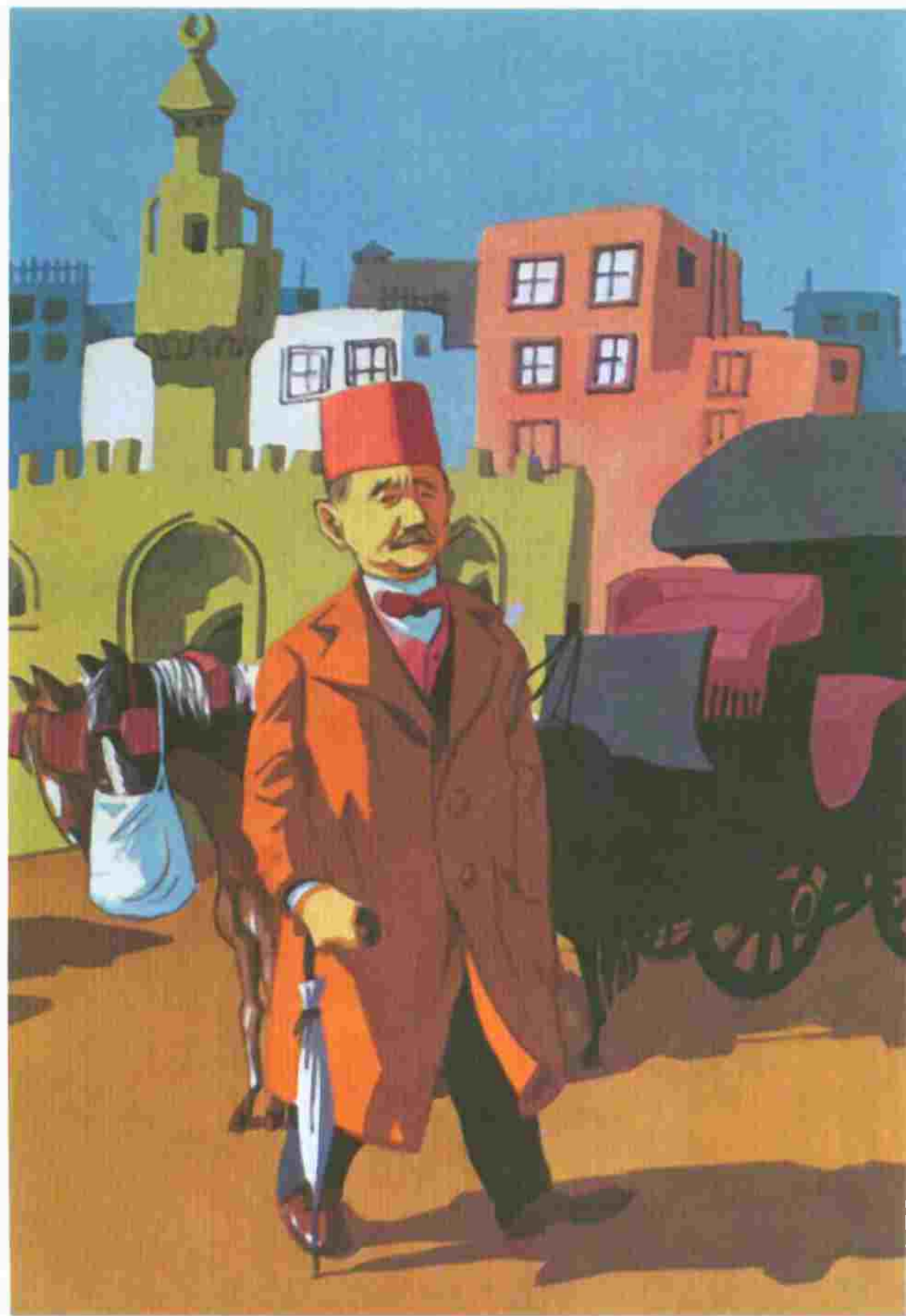
— لماذا كليوباترا بالذات ؟

— لأنها امرأة مظلومة .. وأريد أن أنصفها .

لقد بدأ عقل أحمد شوقي ينشغل بهذا الموضوع فجأة . إنه خلال زيارته هذه لباريس كان يتردد يومياً على مكتبة السوربون الفرنسية لقراءة كل ما كتب عن الملكة المصرية الجميلة كليوباترا . إنه يعطى عبد الوهاب قصيدة نظمها حالاً كجزء من الرواية ، وهي قصيدة :

« أنا أنطونيو وأنطونيو أنا ما لروحينا عن الحب غنى »

وانهمك عبد الوهاب هو الآخر في تلحين القصيدة الجديدة . وقبل أن يغادر الاثنان باريس عائدين إلى مصر ، كان عبد الوهاب قد انتهى من اللحن ، وبدأ يردده لشوقي . وكلما سمع شوقي مقطعا لعبد الوهاب صاح قائلاً : برافو يا محمد .. أنت هايل .. أنت عظيم !



إن مسرحية « مصرع كليوباترا » واحدة من سبع مسرحيات شعرية غنائية كتبها أحمد شوقي . لقد نظم شوقي ثلاث مسرحيات تدور حول مآس وطنية هي : « مصرع كليوباترا » و « قمبيز » و « على بك الكبير » . كما ألف ثلاث مسرحيات غنائية أخرى تدور حول عواطف عربية وإسلامية هي « مجنون ليلى » و « عنتره » و « أميرة الأندلس » . وأخيراً كتب مسرحية غنائية كوميدية اسمها « الست هدى » .

لقد دوت الروايات التمثيلية التي كتبها أحمد شوقي في سمع العالم العربي كله . وأثبتت تلك الروايات أن شعرنا لا يتخلف عن الشعر الغربي ، وأن شعراءنا يستطيعون اقتحام ميدان الشعر التمثيلي الذي سبقنا إليه أوربا .

ولقد ألف شوقي هذه المسرحيات في وقت كانت اللغة العامية تطفئ فيه على المسرح المصري ، ولم تكن هناك محاولات جادة من الشعراء لاقتحام ميدان الشعر التمثيلي . وبرغم الهجوم الذي تعرض له شوقي من بعض النقاد في البداية ، فإنه استمر يقتحم هذا الميدان الجديد تماماً على الشعراء المعاصرين له .

كان التاريخ هو ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢ ، وكان الوقت هو الثانية صباحاً .

إن الخادم النبوي « أحمد كوشه » الذي يعمل في منزل أحمد شوقي ، خرج مذعوراً من غرفة سيده وهو يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله .

وسأله زميله الآخر : خير ؟ ! ما الخبر ؟

رد الخادم والدموع تتساقط من عينيه : أنا كنت نائماً ، ولكنني استيقظت فجأة على زنين جرس متواصل فهرعت إلى غرفة الباشا .

— وبعد ؟

— سمعته يقول : « لا فائدة .. انقطع الأمل » ..

— وماذا حدث ؟

— مات الباشا .



لقد مات أحمد شوقي ، بعد سنوات طويلة كان خلالها بحق « أمير الشعراء » ، وهو اللقب الذي أطلقه عليه المعجبون بعبقريته الشعرية ، وهو أيضاً لقب استحقه شوقي عن جدارة . وعندما أقيم حفل لتكريم شوقي قبل وفاته بخمس سنوات اشترك فيه مندوبون من الدول العربية ، جاءوا ليبايعوه بلقب « أمير الشعراء » .

لقد حظى شوقي بتكريم ضخم ومستمر ، حتى إن زميله وصديقه ومنافسه في نظم الشعر حافظ إبراهيم أعلن باسمه واسم شعراء البلاد العربية البيعة لشوقي عندما قال :

أمير القوافي قد أتيت مبايعاً وهذى وفود الشرق قد بايعت معي

وهكذا مات شوقي ، بعد أن ملأت شهرته الآفاق ، واحتفى به الشعراء وكبار رجال عصره . وعقب وفاته رثاه بشارة الخوري في قصيدة رائعة افتتحها قائلاً :

قف في ربي الخلد واهتف باسم شاعره فسيْدرةُ المنتهى أدنى منابره

وامسح جبينك بالركن الذي انبلجت أشعة الوحي شعراً من منائره

ورثاه صديقه خليل مطران في قصيدة أخرى قال فيها :

كالشمس ما آبت أت بمجدد متنوع من زينة وضياء

هبة بها ضنّ الزمان فلم تتح إلا لأفذاذ من النبغاء

هذا هو أمير الشعراء أحمد شوقي .. الذي قال عنه أحد كبار نقاد الأدب عندنا بحق إنه : شاعر

العصر الحديث .

طبع بمطابع دار المعارف

نوابغ العرب

مجموعة كتب مبسطة تعطي

الأطفال والشباب فكرة عن

نوابغ العرب.

صدر منها:

- ١ طه حسين
- ٢ أحمد شوقي
- ٣ سيد درويش
- ٤ سعد زعزل
- ٥ مصطفى كامل
- ٦ جمال الدين الأفغاني



دار المغارف

٢٤٤٤٥٠/٠١

